الشخصية الحضرمية.. جذور وحضور

الأمناء كتب/ صالح الفردي:

الشخصية الحضرمية، حاول مقاربتها الكثير من المستشرقين الأوربيين، قديماً وحديثاً، وتأمل مكوناتها ومكنوناتها عدد غير قليل من أبنائها، الذين سنحت لهم فرص متعددة في التأهيل والدرس ونيل الدرجات العلمية في الدراسات التاريخية والاجتماعية، الجميع رغب في كشف مغاليقها وتفكيك شفرات أعمدتها الرئيسة التي تنطوي عليها هذه الشخصية المتاحة للفهم إلى حد البساطة والوضوح والمغلقة والغامضة حد التعقيد والطلسم المحيّر ماضياً وحاضرا.

خلال رحلة البحث والتقصي لفهم أهم مكونات هذه الشخصية، نجد الكل يعود إلى ما وقر واستقر في الذاكرة الجمعية للفضاء الحضرمي - وطناً ومهجراً - وتوصيفاتها المحددة سلفاً (البساطة في العيش والنزوع إلى السلم والابتعاد عن العنف والأمانة في التعامل والاعتدال والوسطية في التدين والحرص على التفوّق وإثبات الذات)، ولم تذهب جلّ هذه المقاربات إلى ما هو أبعد من ذلك في سبر غور هذه الشخصية التي تشكلت ملامحها العميقة خلال آلاف السنين، وتنازعتها الكثير من أحداث التاريخ المحمّلة بالانتصارات تارة والانكسارات والهزائم تارة أخرى ولكنها ظلت قادرة على استعادة روحها الحضرمية ووعيها الحضاري صاهرة تلك الثقافات الوافدة وتدجينها لتغدو ملمحاً أصيلاً من ملامح فولكلورها وفنونها وعاداتها وتقاليدها.

وما يثير دهشة المرء وهو يتأمل هذه الشخصية الحضرمية في سيولتها الحياتية اليوم، خاصة في مواطن الاغتراب الموغلة في التاريخ، كشرق وجنوب شرق آسيا، والراهن كالمملكة العربية السعودية، ما يخرج به من حقائق داحضة لمكونات ومكنونات هذه الشخصية العابرة للتاريخ البشري والممتد حضورها في المشهد الإنساني مذ حملت اسم وصفة (حضرموت)، فتبرز واضحة حقائق تتمثل في الارتباط العميق بالجذور الأولى التي انسلت في أعماق التاريخ فصارت عنواناً حضرمياً خالصاً، وللتمثيل وحسب ما تصل إليه من يقين عند الوقوف أمام ملامح الأسرة الحضرمية في مهجرها بالأرخبيل الإندونيسي وتشبثها العميق بموروثها الحضرمي (شكلاً ومضموناً ورسالة وتنويرا) على الرغم من إدراكنا أن أغلب، إن لم يكن جميع، هذه الأسر انقطعت صلاتها المكانية بحضرموت منذ مئات السنين إلا أنها تعيد أدراجها متلذذة بتلك الفسيفساء الحضرمية المتنوعة (أزياء، مأكولات، أهازيج، رقصات، فنون مختلفة)، وتدرك حقيقة التأصيل الذي غرسته تلك الجذور الحضرمية الموغلة في التاريخ واستماتتها في البقاء جيلاً بعد جيل بسلاسة ويسر ودون تعنت أو فرض في موطنها الذي اندغمت فيه حد التلاشي المفضي إلى الألق في ثنايا الحياة وتفاصيلها اليومية.

وكذلك إذا أردنا أن نقف عند تجربة المهجر السعودي الذي بدأ مع مطلع القرن العشرين كاستقرار مكاني، ونجحت الكثير من الأسر الحضرمية فيه أن تصبح من البيوت المالية الثرية على مستوى المنطقة العربية والعالم وانقطعت لزمن طويل صلتها بالأرض الحضرمية، فبرز جيل من هذه الأسر لا يعلم عن (حضرموته) إلا ما يردده (الشيبان والعجزان) في مجالس السمر وساعات الصفاء الأسرية الخالصة، هذه الأسر التي عاشت حياة الترف والبذخ لم تنفصل عن موروثها الحضاري وبقيت متمسكة به كأغلى ما تملك واجمل ما تتغني وتفتخر به، وإن اضطرت تحت إلحاح اللحظة النازفة أن تخفيه أو تقترب من إنكاره، إلا أنها لا تشعر بذاتها مهما ارتفعت في فضاء الاغتراب ومصالح الغربة إلا حينما تتمثل (هنكه) العامي الشعبي والتقليدي الموغل في البساطة فينعكس جلياً هذا (الهنك) في الحضور الطاغي لتلك الجذور في أفراحهم واتراحهم التي يختلط فيها أريج التاريخ بعطر العادات والتقاليد، والجميع يبذل جهداً كبيراً في إظهار احقيته بالانتساب إلى تراث أجداده، ويعمل كلما سنحت له فرصة، على أن يقبض على لحظة التوق والشغف الحضرمية مولياً وجهه صوب تلك الأمكنة القصيّة الجرداء إلا من جذوره الأولى التي تغلغلت فيه وإن حاول أن يتغافل عنها في رحلة اغترابه ومهجره.

لذلك، هل نستطيع أن نضع ملامح ثابتة لأعمدة الشخصية الحضرمية التي نعصرها وطناً ونلوكها زمناً ونحتسيها ثمناً ونرتجيها أملاً.

ألسنا - اليوم - بحاجة إلى إعادة تأملها في هذه اللحظة الفارقة دون إغفال لحقائق التاريخ ودون أن نصم آذاننا عن صوت الجغرافيا الذي يتردد صداه منذ آلاف السنين وما زال، في كل أرجاء الكون إلا أنه - كما يبدو - يخبو ويخفت فينا رويداً رويداً، أو يكاد.

ولنا إطلالة قادمة، وكفى.

خلال ترؤسه اجتماعًا هامًا بقيادة اتحاد أدباء وكتاب الجنوب فرع العاصمة عدن..

الدكتور الجنيد يؤكد ضرورة ترسيخ الهوية الثقافية والأدبية الجنوبية

عدن الأمناء عن الدائرة الإعلامية:

ترأس الدكتور جنيد محمد الجنيد، رئيس اتحاد أدباء وكتاب الجنوب، اجتماعًا هامًا الأربعاء 7 يوليو / تموز 2021م، بقيادة اتحاد أدباء وكتاب الجنوب فرع العاصمة عدن، بحضور الأمين العام للاتحاد الأستاذ بدر العرابي، في مقر الاتحاد بمديرية خور مكسر في العاصمة الجنوبية عدن.

وتحدث الدكتور الجنيد، خلال اللقاء الذي ضم رئيس اتحاد أدباء وكتاب الجنوب فرع العاصمة عدن الأستاذ نجمي عبد المجيد، ونائبه الدكتور يحيى شايف الشعيبي، ورئيس الدائرة التنظيمية د. عبد السلام عامر، ورئيس دائرة الحقوق والحريات مريم العفيف، ورئيس الدائرة الثقافية صابرين الحسني، ورئيس الدائرة الإعلامية علاء عادل حنش، تحدث عن ضرورة رفع وتيرة العمل الثقافي في العاصمة عدن.

وأكد الجنيد، خلال الاجتماع الذي حضره رئيس الدائرة المالية بالأمانة العامة لاتحاد أدباء وكتاب الجنوب الأستاذ محمد باسنبل، ضرورة العمل على ترسيخ الهوية الثقافية والأدبية الجنوبية، مُشيرًا إلى أن الجنوب قاب قوسين أو أدنى من تحقيق استقلاله.

وشرح الدكتور الجنيد نشاط اتحاد أدباء وكتاب الجنوب في محافظات الجنوب الباقية، مُشيدًا بفرع الاتحاد في محافظة حضرموت.

ونوه الجنيد إلى أن مجلة (فنار عدن) ستكون، بإذن الله، في الأيام القادمة شهرية، وليست دورية.

وشدد الدكتور الجنيد على ضرورة انتشال العمل التنظيمي في اتحاد أدباء وكتاب الجنوب فرع العاصمة عدن.

بدورها أكدت قيادة اتحاد أدباء وكتاب الجنوب فرع العاصمة عدن أن الفرع يعزم القيام بخطوات هامة خلال الفترة القادمة.

وأشاروا إلى أن الفرع سيهتم في الأيام القادمة بتعزيز وترسيخ الهوية الثقافية والأدبية الجنوبية، إلى جانب الاهتمام بتراث وتاريخ الجنوب.